مفاهيم ومبادئ عامة عن علم النفس

علم النفس:

هو ذلك العلم الذي يحاول الكشف عن القوانين والمبادئ التي تفسر العلاقات الوظيفية القائمة بين العوامل المتفاعلة بين العوامل المتفاعلة والمتدخلة في أي موقف سلوكي وهو في ذلك يهدف الى فهم السلوك والتحكم فيه والتنبؤ به، وكذلك تطبيق المعرفة السيكولوجية على المشكلات الانسانية لمحاولة حلها.

وهو في نفس الوقت يدرس الظواهر النفسية بناحيتيها الداخلية الذاتية والخارجية الموضوعية مندمجة في وحدة متكاملة وهي عدة الإنسان وأداته في التكيف مع البيئة، حيث يدرس السلوك والعمليات الذهنية.

فضلاً عن أن علم النفس ميدان واسع للدراسة يستقصي طائفة كبيرة من المسائل والأفكار والمشاعر والأفعال، ومن الأسئلة التي يثيرها علماء النفس: كيف تبصر وتسمع وتشم وتتذوق وتحس؟

ساعدت نتائج بحوث علماء النفس كثيراً على تحسين فهمنا لأسرار تصرفات الناس حيث اكتشفوا الكثير عن كيفية تطور شخصية الإنسان، وتشجيع النمو السليم، ومساعدة الناس على تغيير عاداتهم السيئة ومساعدة التلاميذ على التعلم، من هنا ترى الإدراك الذي اكتسبناه بفضل علم النفس بإمكانه مساعدة الناس على تحسين تصرفاتهم.

علم نفس النمو:

هو فرع من فروع علم النفس يهتم بسيكولوجية النمو بدراسة وتتبع مراحل النمو الفكرية والوجدانية والحسية والحركية عند الكائن البشري بهدف تحديد خصائص هذه المرحلة وآلياتها المتنوعة التي توجه وتحدد مختلف السلوكيات التي تصدر عن هذا الكائن، ويرى (ولمان) أن النمو والارتقاء بالمعنى السيكولوجي يعني الزيادة في التعقيد وتنظيم العمليات والبناء من الميلاد الى الوفاة وذلك نتيجة كل من النضج والتعلم.

د. محمد عبد مطشر اللامي

ان النمو النفسي باعتباره علماً ودراسة، يسعى الى تحقيق هدفين رئيسين:

1. وصف سلوك الطفل في كل مرحلة من مراحل حياته.
2. معرفة اسباب التغيرات التي تطرأ على السلوك في مختلف مراحل النمو التي يجتازها الإنسان فالفرد يتغير بصورة مستمرة كما أنه من خلال عملية النمو تصبح الناس متباينين في ادراكهم للمواقف أو من استجاباتهم الانفعالية واتجاهاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وعلى ذلك فيمكن القول إن علم النفس النمو يدرس ويصف التغيرات السلوكية التي تصاحب التغيرات في العمر.

وقد تهتم بعدة مصطلحات منها (التعلم–النمو–التطور–النضج) فالنمو يعتمد على عمليتين أساسيتين هما التعلم والنضج فهما وجهان لحقيقة واحدة هي النمو، النمو يعتمد على النضج + التعلم، أما التطور فهو تغير نوعي يؤدي الى التغيرات الداخلية الى النضج حيث يتضح من خلالها امكانات الفرد الكامنة وتظهر على شكل قدرات ومهارات وصفات وخصائص شخصية وله مظهرين أساسيين أي بعدين أساسيين:

1. **البعد التكويني:** ويعني نمو من الحجم والشكل والوزن ونتيجة لنمو الطول والوزن فالفرد يتطور ككل من المظهر العام وينمو داخلياً من خلال نمو اعضائه المختلفة.
2. **البعد الوظيفي:** نتيجة تطور حياة الفرد واتساع البيئة التي يعيش فيها يصبح حتمياً تطور الوظائف الجسمية والعقلية والاجتماعية.

أما النضج: فهو عملية نمو وتطور داخلي يحدث للفرد من بداية مرحلة الإخصاب ويستمر خلال مراحل النمو المتتالية ويتم بطريقة لا إرادية لا دخل للفرد فيها.

أما التعلم: فهو عملية اساسية تحدث في حياة الفرد باستمرار نتيجة للخبرة والممارسة واحتكاكه بالبيئة الخارجية واكتسابه اساليب سلوكية جديدة تساعده على التكييف مع البيئة وملائمة نفسية لما تتطلبها.

والتعلم عملية شاملة تتناول جميع جوانب الإنسان، أي أن التعلم يحدث من الجوانب العقلية والانفعالية والاجتماعية، والتعلم والنضج يؤثران معاً في عملية النمو، فلا نمو بدون نضج ولا نمو بدون تعلم.

د. محمد عبد مطشر اللامي

وقد أجريت العديد من الدراسات العلمية حول العلاقة بين التعلم والنضج، وخرجت باستنتاج مهم وجود علاقة ايجابية بين التقدم في مستوى النضج والتعلم، فالفرد لا يستطيع أن يتعلم مهارة معينة إلا بعد الوصول الى مستوى مناسب من النضج.

ويتميز التعلم عن النضج في أن التعلم عملية ارادية تحدث بتأثير الرغبة وارادة الفرد، أما النضج فيحدث لا ارادياً أي يحدث بصورة تلقائية في أي وقت دون ارادة الفرد.

معايير عامة للنمو:

هناك معايير خاصة لعمليات النمو المثالي والمنتظمة حيث أن الأطفال يتطورون بنفس السرعة ومن نفس الوقت بالرغم من وجود فروق فردية ومستوى فعالية مختلف الأعمار والمراحل ولكن تبقى الخصائص انماط عالمية يتشارك فيها معظم الأطفال بغض النظر عن مواطنهم واجناسهم وجنسياتهم واعراقهم، ومن هذه المبادئ هي:

1. النمو يتخذ اتجاهاً طولياً (من الرأس الى القدمين) هذا الاتجاه من النمو والتطور حيث يسيطر الطفل فيه على رأسه اولاً ومن ثم ذراعيه ومن ثم ساقيه يتم ضبط حركات الرأس والوجه من نهاية الشهر الثاني يرفع جسمه متكأ على ذراعيه بعد بضعة أشهر ما بين الشهر السادس والثاني عشر يضبط ساقيه محاولاً الحبو والوقوف فالمشي التناسق بين الذراعين يسبق التناسق بين الساقين.
2. النمو يتخذ اتجاهاً مستعرضاً من المحور الرأسي الى الأطراف الخارجية، هذا يصف اتجاه النمة من الداخل الى الخارج هذا يقصد بأن الحبل الشوكي يتطور قبل الأجزاء الخارجية للجسم أن الذراعين يتطوران قبل اليدين ومثال ذلك: فإن القدم تتطور قبل الأصابع بالرغم من أن العضلات الصغيرة من الأصابع هي التي تؤدي الحركات الدقيقة مثل الامساك السليم بالقلم والتقاط الاشياء الصغيرة واعمال التطريز.... الخ، فإن هذه الحركات تتأخر طبقاً لهذا المبدأ.
3. **النمو محصلة بين النضج والتعلم:** وهو عملية تتالي ظهور الخصائص البيولوجية النمائية والتطورية فالتغيرات البيولوجية النمائية والتطورية، فالتغيرات البيولوجية تحدث بشكل متتالي

د. محمد عبد مطشر اللامي

حيث تعطي للأطفال قدرات جديدة فضلاً عن التغيرات التي تحدث من الدماغ والجهاز العصبي مهمة بالنسبة للنضج.

هذه التغيرات تساعد الأطفال على تطوير وتحسين مهارات التفكير من الجانب المعرفي والتطور الحركي من الجانب الجسمي يجب أن يكون النضج من الدرجة الأولى بالنسبة للطفل لكي يكون مستعداً لاكتساب مهارات جديدة، مثال ذلك: إن الطفل في الشهر الرابع لا يستطيع الكلام لأن دماغه لم ينضج بعد، لكن في السنة الثانية من عمره يكون دماغه قد قطع شوطاً في التطور والنضج مما يمكنه من الكلام مع مساعدة الآخرين حيث يكون قادراً على نطق الكلام وفهمه ويكون الطفل محاولاً الرسم والكتابة حيث يكون قد طور عضلاته الصغيرة الكائنة في رؤوس الأصابع واصبحت له القدرة على مسك القلم، ان مراحل النضج مبرمجة وراثياً.

إن تطور الطفل وما يحصل عليه من تعلم نتيجة ما يتعرض له من خبرات هذه تحدد اقصى إمكانيات نموه لأن البيئة الغنية بالمثيرات وتنوع الخبرات تسمح للطفل بتحقيق تلك الإمكانيات.

4. **النمو يسير من البسيط الى المعقد:** يحدث بأن يستخدم الطفل بعض المهارات المعرفية واللغوية ليفسر الأشياء وحل المشكلات.

مثال على ذلك: ان الاختلاف والتشابه والعلاقة بينهما والتصنيف قدرتان هامتان في التطور المعرفي في تعلم التشابه بين حبة التفاح وحبة البرتقال تبدأ بأبسط اشكال هذه العملية واكثرها مادية ولك بوصف هاتين الحبتين كأن يقول الطفل التفاح احمر والبرتقال اصفر فأول مستوى للتفكير حول التشابه من الأشياء هو تقديم اوصاف هذه الأشياء المحسوسة ومن ثم علاقتها الوظيفية (وكلاهما تفكير محسوس) بعضهما ببعض.

كأن يكون التفاحة والبرتقالة مستديرة منهما متشابهتان لأننا نأكلها مثل هذه الاجابات هي نموذجية للطفل من سن (3-4-5) حيث كلما تطورت المهارات المعرفية للطفل يصبح أقدر على فهم علاقات أرقي وأكثر تعقيداً بين الأشياء في نفس المثال التفاحة والبرتقالة له تنتمي الى فئة الفاكهة وهنا يتمكن الطفل من معارة التصنيف الى فئات.

د. محمد عبد مطشر اللامي

النمو عملية مستمرة متدرجة تتضمن نواحي التغير الكمي والكيفي والعضوي والوظيفي.

إن سلسلة التطورات التي يمر بها الطفل تكسب مهارات جديدة اضافية الى المهارات التي قد كسبها من قبل المهارات الجديدة تكون اساس لمهارات اخرى تأتي فيما بعد حيث ان المراحل السابقة لمراحل النمو تضع اسس لمراحل نمائية تالية.

مثال: إن النمو الحركي له خطوات لم يجب ان يكون قد تم استعداداً للمشي (الزحف–الحبو–الوقوف) الطفل يرفع رأسه ويحركه قبل ان يتمكن من التقلب يمنى ويسرى، الطفل يستطيع ان يحرك اطرافه قبل ان يتمكن من التقاط الاشياء أما التمكن من التسلق على الدرج أما من السنة (4–5) من عمر الطفل يستطيع من الصعود والنزول على الدرج كما يفعل الكبار.

5. **اتجاه النمو من العام الى الخاص:** نلاحظ ان الطفل يتأثر بالمحيط الخارجي له تأثيراً كاملاً عاماً قبل أن يتأثر تأثيراً خاصاً فنلاحظ الطفل يحرك كل جسمه للوصول الى لعبته قبل ان يتعلم كيف يحرك يده فقط ليصل الى نفس اللعبة فهو ينظر الى الاشياء بشكل عام قبل المكونات الجزئية.

6. **تفاوت سرعة النمو من مراحل مختلفة:** أن عملية النمو لا تسير على وتيرة واحدة فهناك مراحل للنمو تكون سريعة مثل مرحلة ما قبل الولادة هي اسرع مراحل النمو حيث يكون معدل النمو سريع جداً وتبقى سريعة حتى الكفولة المبكرة ثم تبطئ من مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة لتستقر نسبياً ثم تحدث تغيرات سريعة من مرحلة المراهقة مرة اخرى حتى انها تدعي احياناً بالأولاد الثانية كما سماها ستانلي هول ثم تهدأ لتستقر في مرحلة الرشد ثم تأتي الشيخوخة ليبدأ النمو بالاتجاه العكسي الى الضعف والاضمحلال، كما ان مراحل النمو داخل المرحلة لواحدة تسير بسرعات مختلفة حيث ان لكل مظهر من مظاهر النمو سرعته الخاصة والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمظاهر النمو الاخرى فالطفل الذي يمتاز بذكائه يمتاز ايضاً في استعداداته الاخرى وقدراته المختلفة.

د. محمد عبد مطشر اللامي